المرابطين واثرهم في الحياة العمرانية  
 في بلاد المغرب والاندلس

تأثرت حركة الاعمار في البلاد المغرب خلال عهد المرابطين بين أعوام 1056 - 1147 م. بفنون العمارة في الأندلس بشكل كبير وواضح، مع تأثيرات مشرقية. كان للزهاد والصوفيين الذين كانوا مع المرابطين بالمغرب آراؤهم في البذخ والترف في البناء، مما أدى إلى اعتدالها، بعد أن كان قد وصل إلى درجة كبيرة من الإسراف والترف في الزخرف، فكسب الفن الجديد جمالاً مميزا رغم بساطته. ويمكن القول أن المغرب الإسلامي بتلاحمه مع الأندلس قد استفاد سياسيا وعلميا وفنيا، فبالإضافة إلى رحلات العلماء والتواصل بينهم ومد الجسور الذي كان بين العدوتين، كان هناك تقاطر للصناع والمهندسين على مدن المغرب الإسلامي كفاس وتلمسان- مثلا- وخصوصا القرطبيين منهم، لذلك يمكن اعتبار عصر المرابطين عصر الفن الأندلسي المغاربي بامتياز؛ إذ يبدو الطابع المغاربي في بناء الحصون والأسوار والقلاع، بينما يبدو الطابع الأندلسي في بناء القصور والدور وزخرفة المساجد وخاصة محاريبها امتاز الفن المعماري قبل المرابطين بالطابع البربري البيزنطي، لكنه بقدوم المرابطين وضمهم لعدوة الأندلس إلى المغرب الإسلامي امتزج هذا الفن بالفن الأندلسي المتميز، وأنتج فنا خليطا بين الطابع المغاربي والأندلسي المتميز حيث ظهر هذا المزج في جل المباني الأثرية بالبلاد، وكان أول من بدأ عملية المزج يوسف بن تاشفين الذي أحضر أمهر الصناع من قرطبة إلى فاس، فأضافوا إليها فنادق وحمامات وسقايات. فأدخل بذلك عنصرا جديدا في الفن البربري فتركز بذلك المزيج المغاربي الأندلسي في الحضارة المرابطية ، فكان لفتح المرابطين أبوابَ المغرب على مصراعيه أمام الحضارة الأندلسية تأثيرٌ حيث تدفقت التأثيرات الأندلسية فبدأت تظهر على المدن المغاربية مثل تلمسان وسبتة وفاس وسلا.

كان المرابطون همزة وصل بين الأندلس والبربر وساعدوا على امتزاج وانصهار الحضارتين المختلفتين من كل الجوانب، وإذا كانت الأندلس قد خضعت سياسيا لحكم المغرب فإن المغرب كان إقليما فنيا أندلسيا حيث استقدم يوسف صناعا قرطبيين لبناء مؤسسات بفاس، بينما استفاد ابنه علي من مواهب مهندسي العدوة لإقامة قنطرة تانسيفت في مدخل حاضرة مراكش، وبفضل هؤلاء الغزاة الصحراويين فرض الفن الأندلسي روائعه على المغرب الإسلامي، ثم بنى فيها قصره المعروف بدار الحجر، وأحاطه بالأسوار. فتدفقت الحضارة الأندلسية وبدأت تأثيراتها تظهر على المدن المغربية كسبتة وفاس وسلا، كما تجلت روائع الفن المغربي الأندلسي في هذا العصر في الأبنية الدينية كجامع القرويين بفاس وجامع تلمسان وغيره من الجوامع. بعدها وجَّهَ المرابطون عنايتهم لبناء المساجد ولا سيما في المدن التي أنشؤوها كمدينتي مراكش وتلمسان. مما يُلاحظُ على المًرابطين استعمالهم للصخر المرصوص الكبير في بنائهم ليظل بناؤهم قويا يقاوم الانهيار، ويظهر ذلك جلياً في جدران الحصون والقلاع الشاهقة التي بنوها من أجل الحراسة والدفاع واستكثروا منها في أنحاء مختلفة من المغرب والأندلس وشيدوها حتى في الصحراء، وتتصف هذه الحصون بأبراج نصف دائرية للمراقبة، ومن القلاع التي شيدها المرابطون على سبيل المثال قلعة بن تودة بمدينة فاس، والمعروف أن المرابطين في بداية عهدهم بالحكم لم يكونوا يحصنون المدن بالأسوار حيث يرون في ذلك ضعفا عن الدفاع، ثم لم يلبثوا بعد ذلك بعد اتصالهم بالأندلس أن أخذوا ببنائها وتفننوا في ذلك وابتكرَ المرابطون نظاماً جديداً في تخطيط الأسوار، إذ عمدوا إلى الإكثار من الزوايا الداخلية والخارجية بالسور، بحيث يَتخذ شكل خطوط متعرجة متكسرة، وميزة هذا النظام أن يترك الجند أعداءَهم يَتقدَّمون داخل إحدى الزوايا، ثم يَندفعون عليهم من أعلى الأسوار على الدروب فيَفتكون بهم فتكاً ذريعاً، ويُشبه هذا النظام «الزمبرك» إذا ضغط عليه ثم ترك اندفع بقوة فيُصيب ما يُقابله، وما زالَ قطاع من هذه الأسوار بإشبيلية قائماً، ويُعـرف باسم «سور مقارنة»، ويمتد من باب مقارنة حتى باب قرطبة، وتتناثر بعض بقاياه بعد ذلك في حديقة معهد الوادي .

وتم تغيير شكل القرويين الذي كان على عهد الزناتيين، لكنهم بذلوا أقصى جهدهم في الإبقاء على أصولها الأولى، وذلك باحتفاظهم منذ البدء على تصميم «البلاطات الموازية لجدار القبلة» ، فصنعوا منبراً جديداً للقرويين خلف منبر الزناتيين تكسو جوانبه الزخارف الهندسية التي رصعت بالصدف الذي زخرفت به آيات من القرآن بالخطين الأندلسي والكوفي. وحينما أراد علي بن يوسف توسعة جامع القرويين، كانت توجد أرضًا بجواره تعود لملكية اليهود، فلم يغتصبها بل اشتراها منهم بالزيادة في ثمنها. وفي المقابل يبدو الطابع المغربي المميز في بناء الحصون والأسوار والقلاع في الأندلس. فقد ظهرت تقنية الترصيع الزخرفي في الأندلس في القرن الثاني عشر في ظل حكم المرابطين. حاليا آثار المرابطين نادرة والمتبقي منها لحقه تغيير كبير، خصوصا في المغرب، حتى أنه قد فقد بعضا من أصالته.

إلا أن إنجازات المرابطين في المغرب الأوسط بقيت واقفة ومحافظة على شكلها إلى حد ما إذ تعتبر مساجد كل من الجزائر العاصمة، وتلمسان وندرومة هي من آثار يوسف بن تاشفين. كما تتصف جميع هذه المساجد المرابطية بنفس التنظيم المعماري. ومنبر مسجد الكتبية بمراكش الذي تم إنجازه بقرطبة ابتداء من عام 1137م والانتهاء منه في 1147م، بأمر من علي بن يوسف، ويتكون هذا الصرح من قطع قابلة للتفكيك، ويرفع فوق عجلات صغيرة، مما يسمح بإخراجه يوم الجمعة بواسطة طريقة آلية. وهو مصنوع من خشب الأرز والصنوبر.

أحصى البيذق ما يقارب من عشرين حصنا مرابطيا موزعا في أرجاء المغرب أشهرها قصبة الأوداية بناها تاشفين وقلعة زاكورة المرابطية. كما صمموا الأبراج وهي عبارة عن حصن مربع الشكل داخل سور أو منعزل عنها، واثر البرج الأندلسي في تصميمات البرج المغربي منذ عهد المرابطين مع آثار محلية أطلسية وقد استعمل المرابطون الحجارة الطبيعية العادية في بناء الأبراج والقلاع .

في نهاية المحاضرة هناك بعض الأسئلة المطلوب من طلبتنا الأعزاء الإجابة عليها المحاضرة المقبلة بأذن الله.

**اذكر سبب تسمية عصر المرابطين عصر الفن الاندلسي المغربي ؟**

**بماذا امتاز الفن المعماري قبل عصر المرابطين في المغرب ؟**

.